تعلمت من يوسف عليه السلام

تلخيص المحاضرة الرابعة

خُماسية النجاة من الفتنة

في هذا اللقاء المبارك، نقف مع آيات كريمة تحمل في طياتها دروسًا عظيمة وحكمًا بليغة.

ففي اللقاء السابق، كنت أ رغب في ذكر بعض الفوائد، لكن ضيق الوقت حال دون ذلك، لذا أستكملها الآن.

تأملوا في قول العزيز لامرأته عن يوسف عليه السلام: {أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ}، وكيف أن هذا القول كان مفتاحًا لتمكين يوسف بعد محنته. وهنا يأتي قول ابن مسعود رضي الله عنه، الذي يستحق أن يُكتب بماء الذهب: " أفرس الناس ثلاثة "، أي أكثرهم فراسةً ونفاذ بصيرة. وذكر منهم:

عزيز مصر حين رأى الخير في يوسف عليه السلام.

ابنة شعيب حين وصفت موسى عليه السلام بالقوة والأمانة.

أبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان خير خليفة.

وهنا تتجلى حقيقة ذهبية: "المعدن النفيس لا يخفى على اللبيب"، فقد يُجهل قدر الإنسان في بعض الأحيان، كما بيع يوسف بثمن بخس، لكنه سيظل غاليًا في عين من يدرك قيمته.

ولذلك، إن وضع الله لك القبول في الأرض، فلن يستطيع أحد انتزاعه.

إخوة يوسف أرادوا طمسه، لكن الله أنزله في قلب العزيز وامرأته وسكان القصر، فصار مكرمًا بينهم. وكذلك في حياتنا، قد يسعى البعض لتشويه صورتنا، لكن الحقيقة تبقى ثابتة: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ }. فلا ينبغي للمرء أن ينشغل بما يُقال عنه، بل عليه أن يسير في طريقه متوكلًا على الله.

وهذا هو ديدن الأنبياء؛ فحين اتُّهم نوح عليه السلام بالضلال، قال بثقة: { قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ }، وحين وصف قوم لوط نبيهم بالسفاهة، أجابهم بنفس الثبات: { قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ }.

وهكذا كانت مسيرة يوسف عليه السلام، رغم ما لقيه من أذى، فإن الله سخر له من يحبه، ومن يحميه، ومن يعلمه. فالقلوب بيد الرحمن، يقلبها كيف يشاء، ومن توكل على الله، كفاه وأعانه وأيده بنصره.

رُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ، وكما قال الله تعالى: { فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا }.

هكذا كان حال يوسف عليه السلام، فقد أخرجه الله من جوٍّ مشحونٍ بالحسد والضغينة، حيث لم يكن ليستطيع النمو أو تحقيق ما كُتب له، إلى جوٍّ آخر مليء بالعناية والتكريم. فبدلًا من أن يكون مُطارَدًا من إخوته، أصبح عزيزًا في بيت العزيز، يعيش في نعيم الملوك.

"أَنْتَ تُرِيدُ، أُرِيدُ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ".

حين قال الله تعالى: { وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ }، لم يكن ذلك التمكين في الأرض بعد، بل كان تمكينًا في القلوب، فقد كسب ودّ العزيز وزوجته، وحُبَّ الناس حوله. ثم بعد سنواتٍ من الابتلاء، جاء التمكين الحقيقي حين قال الله تعالى: { وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ }.

وهنا درسٌ بليغٌ: التمكين لا يبدأ بالسُلطة، بل يبدأ من القلوب، فإذا تقبّلك الناس وأحبّوك، مهّدوا لك الطريق. أما إن فُرضت عليهم فرضًا، فسيقاومونك حتى تسقط.

وهذا تمامًا ما حدث مع النبي ﷺ، فلم يُمكن له في الأرض حتى كسب قلوب أصحابه، حتى صاروا مستعدين لبذل أرواحهم في سبيل دعوته. وعندها جاء النصر في بدر، وأُحد، والأحزاب.

لكنَّ التمكين يحتاج إلى الصبر، والعمل بالحكمة، والتدرج في إقناع الناس، فلا يمكن فرض الواقع فجأةً بالقوة، وإلّا كان المصير الفشل والعودة إلى الصفر، كما رأينا في محاولاتٍ كثيرةٍ عبر التاريخ لتغيير الواقع دون بناء قلوبٍ تؤمن بالفكرة أولًا.

{ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }.

تدبير الله عجيب! أُلقي يوسف في الجُب، فالتقطه المارّة، وباعوه بثمنٍ بخس، فأدخله الله بيت العزيز.

ثم جاءت مكيدة امرأة العزيز، فأدخله الله السجن، ليُلاقي فيه صاحب الرؤيا، الذي سيذكره يومًا عند الملك.

ثم رأى الملك رؤيا، فجاء يوسف ليُفسّرها، فأُعجب به وجعله وزيرًا على خزائن الأرض.

ثم دبّر الله أمر المجاعة، فجاء إخوته يطلبون الطعام، فعرفهم وهم له منكرون. ثم تجددت اللقاءات حتى جمع الله شمله بأبيه وأهله، وأعاد إلى يعقوب بصره، وأنعم على يوسف بالملك والتمكين.

الله يدبر الأمور من حيث لا نعلم، لذا لا تيأس إن وجدت نفسك في ظلمة الجُب، فربما كان ذلك طريقك إلى القصر!

اطلب المستحيل من الله! لا تستصعب شيئًا، ولا تحسب الأمور بحساباتك الضيّقة، بل بحسابات الله، فهو القادر على أن يبدّل الحال في لحظة. كم من شخصٍ كان يظن أمرًا ما مستحيلًا، ثم وجده يتحقق أمامه بفضل الله؟ كم من فقيرٍ أغناه الله، وكم من مريضٍ شفاه، وكم من تائهٍ هداه؟

{ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ }.

فاسعَ، وابذل ما تستطيع، ولو كان غرس فسيلة، فإن الله يتمّ لك الطريق. قل: "يا رب، أنت غالبٌ على أمرك، فأعنّي، وافتح لي الأبواب، وبارك لي في سعيي"، واستمر في العمل، ولو بدا لك الطريق مستحيلًا.

فالناس قد تسيء الظن بالله، وتقول: "هذا لا يمكن أن يحدث"، "كيف؟"، "أمرٌ مستبعد!"، لكن قصة يوسف عليه السلام تعلمنا درسًا خالدًا: ما تظنه مستحيلًا، قد يكون في تدبير الله أقرب مما تتخيل.

قصة يوسف.. تتكرر مرات ومرات!

لقد استغرق الأمر أربعين عامًا حتى يصل يوسف إلى لحظة التمكين، فلماذا نستعجل الأمور؟

{ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ } ، وهذه الحقيقة لا تنطبق فقط على الأفراد، بل على الأمة بأكملها.

لقد وعد الله بتمكين الأمة، فقال: { وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (7) لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ }.

هذا الوعد سيتحقق بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليل ، فأمر الله نافذ، ولا يمنعه شيء.

قد يبدو الواقع مظلمًا، وقد يسيطر اليأس حين نرى تكالب الأعداء، لكن الحقيقة تبقى: { وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ } . فما عليك إلا أن تقوم بدورك، ولو كان بسيطًا، فالله لا يعطي فقط بقدر الجهد، بل أيضًا بقدر النية، وقد يخرج من هذه الأمة جيلٌ يبارك الله فيه، فيكون الفتح والنصر على يديه.

لا تخدعك الكثرة

الحق لا يُقاس بعدد أتباعه، فكم من أكثريةٍ كانت على ضلال؟

قال تعالى: {وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ } (الأنعام: ١١٦). فلا تجعل حجتك في فعل شيءٍ خاطئ أن "الناس جميعًا يفعلونه"، ولا تخضع لضغط العادة والتقليد، بل ابحث عن الحق، واتّبعه ولو كنت وحدك.

يُقال: "أنت الجماعة ولو كنت وحدك"، وكذلك: "اتبع سبلَ الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وسبل الضلال، ولا تغتر بكثرة الهالكين".

وبهذا تختم هذه الفوائد العظيمة، التي تؤكد لنا أن التمكين لا يأتي إلا بالصبر، والعمل، والثقة في وعد الله.

يوسف عليه السلام.. نموذجٌ للاقتداء قبل النبوة

نشأ يوسف -عليه السلام- في بيت العزيز، وكان كلما كبر ازداد جمالًا وقوة حتى بلغ أشده، وهي مرحلة الرجولة والنضج، وقد اختلف العلماء في تحديدها، فقال بعضهم ١٨ سنة، وآخرون ٢٥ سنة، ومنهم من رجّح ٤٠ سنة، والله أعلم.

عند بلوغه هذه المرحلة، قال الله تعالى:{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ}.

وهنا اختلف العلماء في تفسير "الحكم والعلم"؛ فقيل إنهما النبوة، وقيل إن الحكم هو الفهم السليم، والعلم هو المعرفة، إذ لا يكفي أن يمتلك الإنسان المعلومات، بل لا بد أن يكون قادرًا على تطبيقها واستنباط العبر منها.

لكن النبوة ليست شيئًا يُكتسب بالاجتهاد، بل هي اصطفاء إلهي، كما قال تعالى: { ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ} (الحج: ٧٥).

لذا، رأى بعض العلماء أن "الحكم والعلم" هنا يقصد بهما الفهم والحكمة وليس النبوة، وأن هذه النعمة يجازي الله بها المحسنين الذين أخلصوا في عبادتهم.

يوسف.. لم يُذكر في القصة كنبي

رغم أن يوسف -عليه السلام- صار نبيًّا في مرحلة لاحقة، إلا أن القصة لم تصفه بلفظ "النبي". لماذا؟ لأن كل ما فعله في حياته لم يكن بصفته نبيًّا، بل كان رجلاً صالحًا، تقياً، محسنًا، مؤمنًا، وهذه صفات يمكن لأي شخص أن يتحلى بها.

عندما قال لامرأة العزيز: { مَعَاذَ ٱللَّهِ }، لم يقلها لأنه نبي، بل لأنه تقي.

عندما دعا إلى الله في السجن، لم يكن ذلك لأنه نبي، بل لأنه مؤمن صالح.

عندما حكم بالعدل وأحسن في القضاء، لم يكن ذلك لأنه نبي، بل لأنه رجل نزيه.

عندما عفا عن إخوته وأكرمهم، لم يكن ذلك لأنه نبي، بل لأنه كريم القلب.

وهذا يكشف لنا حقيقة جوهرية: لا ينبغي أن نسمع قصص الأنبياء على أنها مجرد أحداث تاريخية بعيدة عنا، بل علينا أن نراها كدروس قابلة للتطبيق في حياتنا. فالأنبياء، رغم مقامهم العظيم، قاموا بأعمال صالحة ليس فقط لأنهم أنبياء، بل لأنهم قدواتٌ بشريةٌ يمكننا أن نقتدي بها.

لذلك، لا تقل: "لكنهم أنبياء، كيف نكون مثلهم؟"، بل تأمل في أفعالهم التي كانت نابعة من الإيمان والإحسان، واسأل نفسك: لماذا لا أكون مثل يوسف في إخلاصي؟ مثل أيوب في صبري؟ مثل موسى في ثباتي؟ فهذا هو جوهر الاقتداء الحقيقي.

يوسف عليه السلام.. نموذج يمكن الاقتداء به

يؤكد الله تعالى في قوله: { أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ } (الأنعام: ٩٠) أن الهداية التي خصَّ بها أنبياءه مفتوحة أمام المؤمنين للاقتداء، فلا يُشترط أن يبلغ الإنسان مقام النبوة ليكون على طريق الهُدى والصلاح.

حين نرى أن يوسف -عليه السلام- قد أوتي الحكم والعلم بسبب إحسانه، فإن هذا يفتح لنا باب الأمل، فكما أن الإحسان كان مفتاح الفهم والحكمة ليوسف، فإنه يمكن أن يكون كذلك لكل إنسان يسعى في طريق التقوى. ربما لا نبلغ مرتبة الأنبياء، لكن يمكننا الاقتراب من درجاتهم، سواء في العلم، والفهم، والصبر، والتقوى، والإحسان، فهذه ليست صفات محجوزة للأنبياء فقط، بل متاحة لكل من يسعى إليها.

الله تعالى وصف الأنبياء بصفات يمكن لأي مؤمن أن يتحلى بها، فقال عنهم: { وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ } (الأنبياء: ٧٣)

وكذلك قال عن زكريا -عليه السلام-: { إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ } (الأنبياء: ٩٠). هذه الصفات ليست بعيدة المنال، بل هي أبواب مفتوحة لكل من أراد السير في طريق الإحسان.

الأمر الأكثر لفتًا للانتباه في قصة يوسف أنه لم يُذكر فيها بصفة "النبي"، وإنما وُصف بالصلاح والتقوى والإحسان، وهذا يمنحنا دلالة واضحة: ما قام به يوسف من ثبات أمام الفتنة، وصبرٍ على البلاء، وعفوٍ عند المقدرة، لم يكن لأنه نبي، بل لأنه رجل تقي يخشى الله.

حين واجه يوسف فتنة امرأة العزيز، لم يقل "لا" لأنه نبي، بل لأنه رجل تقي محسن، يخاف الله ويستعين به، وهذا ما يجعلنا ندرك أن كل إنسان قادر على الثبات أمام الفتن إذا امتلك التقوى والإحسان. فحين يتذرع البعض بأنهم "بشر" لا يستطيعون مجاهدة الفتن كما فعل يوسف، فإنهم ينسون أن يوسف نفسه لم يكن قد أُوتي النبوة بعد في ذلك الموقف، وإنما قاوم بشريته بالتقوى والخوف من الله.

النتيجة واضحة: ٱللَّهَ يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ، فقد قال في أكثر من موضع من سورة يوسف: { إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } (يوسف: ٩٠)، و{ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } (يوسف: ٥٦) .

إذن، كل الصفات التي تميّز بها يوسف في القصة يمكن لكل مؤمن أن يتحلى بها. ليس المطلوب أن نكون أنبياء لنصل إلى الإحسان، لكن يمكننا أن نكون من المحسنين الذين يقتدون بهم ويسيرون على نهجهم، فالباب مفتوح، والطريق واضح، والإرادة تصنع الفارق.

الإحسان.. حيث لا يراك أحد

يقول الله تعالى: { وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ } (يوسف: ٢٢)، وهنا نجد قاعدة إلهية عظيمة، وهي أن الإحسان لا يضيع أجره أبدًا، بل هو سبب التمكين والرفعة في الدنيا، والجزاء الأوفى في الآخرة. لكن، أي إحسان هو المقصود؟ إنه الإحسان النابع من القلب، الذي يُبذل خالصًا لله، سواء رآه الناس أو لم يروه.

في قصة يوسف -عليه السلام- نجد نماذج رائعة للإحسان، فقد كان محسنًا مع الجميع، رغم قسوة ما مر به

إحسانه إلى إخوته: رغم ما فعلوه به، لم يعاملهم بالمثل، بل غفر لهم وعفا عنهم في النهاية.

إحسانه إلى صاحب السجن: عندما نسيه وترَكه بضع سنين، ثم عاد يطلب منه تفسير رؤيا الملك، لم يعاتبه ولم يؤنّبه، بل أجابه بكل رحابة صدر، بل وأعطاه فوق ما سأل، حيث لم يفسر الحلم فقط، بل قدّم له الحلول أيضًا.

إحسانه في كل موقف: سواء كان في السجن، أو في بيت العزيز، أو في قصر الملك، كان دائم الإحسان، لا ينتظر مقابلًا من أحد، بل كان دافعه الأساسي هو التقوى والإخلاص لله.

دروس من الإحسان الحقيقي

١- الإحسان يُعرف في الخلوات، لا في الأضواء

الإحسان ليس مجرد مشاهد مصورة تُبث على الشاشات، حيث نرى أشخاصًا يوزّعون الأموال والهدايا أمام الكاميرات، فهذا ليس مقياسًا حقيقيًا للإحسان. أي شخص يملك المال يمكنه أن يفعل ذلك، بل وربما يحصل على مكاسب أكثر مما ينفقه بسبب الشهرة والدعاية.

لكن الإحسان الحق هو الذي يكون حين لا يراك أحد، حين يكون بينك وبين الله فقط، عندما تُقدّم الخير خالصًا دون أن يعلم به أحد سواك.

٢- لا تحكم على أحد حتى تعرف حاله في السر

المجتمع أصبح متأثرًا بالمظاهر لدرجة أننا نحكم على الناس من خلال ما نراه فقط. فإن لم نرَ أعمالهم، ظننا أنهم لا يفعلون شيئًا! وهذا خطأ كبير.

هناك أناس لا يُظهرون أعمالهم الصالحة، لكنهم يفعلون من الخير أضعاف ما نراه.

كم من أشخاص يَظهرون كأناس عاديين، لكنهم يحملون في الخفاء قلوبًا مليئة بالإحسان، يساندون الناس سرًا، ويساعدون المحتاجين دون أن يعلم أحد.

لا ينبغي أن نحكم على أحد بأنه غير محسن لمجرد أنه لا يُظهر إحسانه، فالله وحده يعلم السرائر.

٣- الناس لا ترضى أبدًا.. فاعمل لله

إذا أظهر الإنسان إحسانه، قيل عنه: "يبحث عن الشهرة والرياء".

وإذا أخفاه، قيل: "لم نرَ منه أي خير، هو لا يفعل شيئًا!".

هذا يذكرنا بقصة جحا وابنه والحمار، حيث لم ترضَ الناس عن أي تصرف قام به. وهكذا هو حال البشر، لن يرضوا عنك مهما فعلت، لذا اجعل عملك لله، ولا تلتفت إلى كلام الناس.

٤-الإحسان ليس فقط في المال

كثير من الناس يظن أن الإحسان يقتصر على التبرعات والمساعدات المادية فقط، لكنه في الحقيقة أوسع من ذلك بكثير. الإحسان يكون في كل جانب من حياتك:

الإحسان في ضبط النفس: عندما تواجه الفتن وتقول "لا"، كما فعل يوسف -عليه السلام- مع امرأة العزيز.

الإحسان في أداء العمل: أن تؤدي وظيفتك أو مسؤولياتك بأمانة وإتقان، حتى لو لم يكن هناك من يراقبك.

الإحسان في الأخلاق: أن تلتزم الصدق، أن تحفظ الأمانة، أن تعفو عن من أساء إليك.

الإحسان في العبادة: أن تصلي، وتصوم، وتعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الإحسان في العلاقات: أن تكون حسن المعاملة مع أهلك وأصدقائك والناس من حولك، حتى وإن لم يكونوا مثاليين معك.

الإحسان.. رسالة عملية للجميع

الإحسان ليس شيئًا خارقًا لا يقدر عليه إلا الأنبياء والصالحون، بل هو متاح للجميع. الله سبحانه وتعالى ربط الإحسان بالجزاء العظيم في الدنيا والآخرة، ولم يجعله مقتصرًا على أحد.

يوسف -عليه السلام- لم يكن نبيًا حين واجه فتنة امرأة العزيز، بل كان رجلًا تقيًا يخاف الله، فرفض المعصية. وهذا يعني أن أي شخص يمكنه أن يفعل مثله إذا تحلى بالتقوى والصبر.

بل إن معظم الصفات التي وصف الله بها الأنبياء في القرآن، مثل الصبر، والإخلاص، والمسارعة في الخيرات، كلها صفات يمكن لأي شخص أن يتحلى بها، وليس الأنبياء وحدهم.

الإحسان الحقيقي هو ذاك الذي يكون بينك وبين الله، بعيدًا عن أعين الناس، لا تسعى به إلى مدح، ولا تنتظر به جزاءً دنيويًا.

هو أن تكون تقيًا في الخفاء كما أنت في العلن، أن تحسن دون أن تسجّل ذلك في فيديو، أن تعبد الله كأنك تراه، أن يكون لديك ضمير حتى في أصغر التفاصيل.

وفي النهاية، الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين، بل يجعل لهم جزاءً في الدنيا، ونعيمًا خالدًا في الآخرة.

{ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

الإحسان.. أبواب لا تُفتح إلا للمحسنين

الإحسان ليس مجرد أفعال ظاهرة، بل هو حالة قلبية يعيشها الإنسان في كل لحظة، بعيدًا عن الأضواء، حيث لا يراه أحد سوى الله. كثير من الناس لا نعرف عنهم شيئًا، حتى يأتي يوم نكتشف فيه أنهم كانوا محسنين في الخفاء، يفعلون من الخير أضعاف ما يظهره غيرهم.

الإحسان ليس فقط أن تعطي المال أو تساعد المحتاجين علنًا، بل هو أن تمتنع عن الخطأ حين تكون وحيدًا.

الإحسان هو أن تتاح لك فرصة المعصية، ثم تختار الطاعة.

الإحسان أن تعمل بضمير وإتقان في كل ما تؤديه، ولو لم يكن هناك من يراقبك.

العلم لا يُؤتى بالمعلومات فقط، بل يُؤتى بالإحسان

هناك مساحة من الفهم لا تُكتسب بمجرد القراءة أو حضور الدروس، بل يمنحها الله لمن كان بينه وبينه علاقة خاصة من الإحسان والتقوى.

لا يكفي أن تجتهد في طلب العلم فقط، بل اجتهد في العبادة، في تهذيب قلبك، في الإحسان إلى الناس، وفي علاقتك بالله.

هناك أبواب من العلم والفهم لا تُفتح إلا للمحسنين، ولا تُدرك إلا لمن سلك طريق التقوى والإخلاص.

لا تتعجل قطف الثمار

في قوله تعالى: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ } نجد درسًا عظيمًا:

لكل شيء وقته، فلا تتعجل النتائج قبل أن تكتمل أسبابها.

لا تتصدر قبل أن تكتمل خبرتك وتنضج تجربتك، فالتعجل في الظهور يقترن بكثرة الأخطاء.

في أي مشروع أو هدف تسعى إليه، لا تستعجل الثمرة قبل أن يكتمل نضجك الفكري والعملي.

خذ العلم من الأكابر

من حكم الحياة أن الخبرة لا تُشترى، بل تُكتسب مع الزمن. ولهذا، من أراد العلم النافع، فليأخذه عن من بلغوا أشدهم، ممن تجاوزوا الأربعين، حيث اجتمع لديهم العلم مع التجربة والرؤية العميقة.

جمال يوسف عليه السلام.. ليس أعظم ما مُدح به

رغم أن يوسف -عليه السلام- كان آية في الجمال، إلا أن الله تعالى لم يثنِ عليه بسبب ذلك، بل مدحه بإيمانه وإحسانه وصبره وتقواه. وكأن الرسالة هنا:

"الجمال الحقيقي ليس في الملامح، بل في القلب، في الإحسان، في العمل الصالح، في العلاقة بالله."

وأخيرًا: الإحسان طريق إلى القرب من الله، إلى الفهم العميق، إلى النجاح الحقيقي. فكن محسنًا، ليس أمام الناس، بل حيث لا يراك إلا الله.

لا مبرر للوقوع في الفتنة.. القرار بيدك

كثيرًا ما نسمع من يبرر وقوعه في المعصية بحجة الفتن المنتشرة، فيقول:

"الظروف صعبة!"

"الدنيا مليئة بالمغريات!"

"وسائل التواصل تُحيط بنا بالفتن!"

لكن هذه ليست أعذارًا، لأن يوسف - عليه السلام - اجتمعت عليه كل الفتن الممكنة،ورغم ذلك قال:{مَعَاذَ ٱللَّهِ}. وهذا هو الاختبار الحقيقي: ليس في كثرة الفتن، بل في مدى صمودك أمامها.

لماذا كانت فتنة امرأة العزيز شديدة؟

لم يكن الأمر مجرد إغراء عابر، بل كانت كل الظروف مهيأة ليسقط يوسف -عليه السلام- في المعصية، ومنها:

١- جماله الفائق: كان شديد الجمال، وهذا سبب كافٍ لافتتان امرأة العزيز به.

٢- عـــــزوبيته: لم يكن متزوجًا، وبالتالي لديه شهوة، فالأنبياء بشرٌ لهم رغبات.

٣- وضعه الضعيف: كان في بيتها، تحت سلطانها، لا يملك رفض أوامرها بسهولة.

٤- الخلـــوة التامة: أغلقت الأبواب، مما جعله في درجة كبيرة من الأمان الظاهري لارتكاب المعصية.

٥- غربته عن أهله: بعيد عن وطنه، مما قد يُشعره أن لا أحد يراقبه.

٦- سلطتها القويــة: كانت امرأة متنفذة، تملك فرض ما تريد.

٧- ضعف زوجهـــا: لم يكن حازمًا، بل كان متساهلًا إلى حد الدياثة.

٨- جمالها الفائـــق: لم تكن امرأة عادية، بل كانت على قدر كبير من الجمال.

٩- هي من طلبت العلاقة: فالإغراء جاء منها، وليس منه.

١٠- المجتمع يُؤيد الفاحشة: فالنساء في القصر كنّ يشجعنها، وشاركنها لاحقًا في محاولة إغوائه.

كل هذه العوامل اجتمعت، ومع ذلك قال يوسف -عليه السلام-: {مَعَاذَ ٱللَّهِ} ، ونجا منها بطهارته وإيمانه.

إذن، لا يوجد مبرر للوقوع في الفتنة!

بعد أن استعرضنا هذه العشرة أسباب، يتضح أنه لا أحد يمكنه تبرير معصيته بالظروف. لا يوجد شخص اجتمعت عليه كل هذه المغريات كما اجتمعت على يوسف -عليه السلام-، ومع ذلك صمد وثبت.

من الذي يفتتن بمن؟

من المفترض أن يفتتن الرجل بالمرأة أو العكس، لكن هناك قاعدة ذهبية تقول:

"من يفتح الباب هو من يقع في الفتنة، ومن يغلقه هو من ينجو."

هناك نوعان من الشباب:

١-شاب يُغلق الأبواب:

وسيم، أنيق، من عائلة كريمة، لكنه تقي، لا يُعطي الفتيات اهتمامًا.

لا يُراقبهن، لا يتابع حساباتهن، لا يُشاهد محتوى غير لائق ، لا يُسهل الحديث معهن.

في هذه الحالة، الفتيات هنّ من يفتتن به، وليس العكس!

٢- شاب يفتح الأبواب:

يُراقب الفتيات، يُتابع حساباتهن، يشاهد الأفلام والمسلسلات المثيرة.

يتأثر بالمحتوى غير الأخلاقي، يُسقط ما يراه في الإعلام على واقعه.

يبحث عن أي علاقة ليملأ الفراغ الذي يشعر به.

في هذه الحالة، حتى لو لم تسعَ إليه الفتيات، سيشعر أن "الدنيا بايظة"، وأن "كل البنات سيئات"، فقط لأنه فتح الباب بنفسه!

القاعدة واضحة:

إن فتحت الباب، ستقع في الفتنة.

إن أغلقته، ستنجو مهما كانت المغريات.

في قصة يوسف -عليه السلام-، من الذي فتح الباب؟

لم يكن يوسف -عليه السلام- هو من بدأ الفتنة، بل امرأة العزيز:

كانت تراقبه باستمرار.

تحاول التحدث إليه.

تفكر فيه كثيرًا.

تأثرت بصديقات غير صالحات (النسوة اللاتي كنّ يُبررن الفاحشة).

كانت مجالسها تدور حول الرجال والعلاقات والخيانات.

أما يوسف -عليه السلام-، فكان العكس تمامًا:

لم يكن يُراقب النساء.

لم يجلس مع من يتحدثون عن الفواحش.

لم يكن يُتابع أخبار النساء في القصر.

لم يكن يُعطي امرأة العزيز أي اهتمام زائد.

لم يكن يتساهل في الحديث معها.

لذلك، لم يكن متأثرًا بها، ولم يكن لديه ميل نحوها، لأنه أغلق الباب تمامًا!

كيف نقلت امرأة العزيز الفتنة لغيرها؟

عندما استغربت النساء كيف تحب فتاها، لم تجادل بالكلام، بل قالت: { اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ }.

فلما رأينه، تغير كل شيء!

وقعن في الفتنة كما وقعت هي.

أحببنه كما أحبته هي.

بدأن يراودنه كما راودته هي.

نسيْنَ اعتراضاتهن السابقة على الفروقات الاجتماعية والمكانة.

الفتنة لا تبدأ بالكلام عنها، بل عندما يُفتح الباب لرؤيتها أو التفاعل معها.

لا تفتح الباب على نفسك!

قال النبي ﷺ: "لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه."

أي إن بدأت السير في طريق الفتنة، ستجد نفسك غارقًا فيها.

لا تفتح باب النظر: تجنب مشاهدة ما يُثير الشهوة.

لا تفتح باب متابعة المحتوى غير الأخلاقي: لا تُتابع ما يزرع الفتنة في قلبك.

لا تفتح باب العلاقات المحرمة: لا تُبرر لنفسك التجربة باسم الصداقة.

لا تفتح باب التواجد مع أصدقاء يُثيرون الفتن في قلبك: الصحبة تؤثر على القلب والعقل.

كيف تؤثر البيئة عليك؟

إن كنت تجلس مع أصدقاء يتحدثون عن العلاقات، أو يشاهدون محتوى غير لائق، أو يُشجعون على الحرام، ستشعر أنك ناقص، وستبحث عن أي علاقة تُشبع هذا النقص.

أما إن كنت تجلس مع شباب يحفظون القرآن، يعملون في الدعوة، يُركزون على أهدافهم في الحياة، فستشعر أنك بحاجة إلى أن تصبح مثلهم، وسترى أنك أنت المقصر.

القرار بيدك: أغلق الباب، تنجو... افتحه، تسقط.

الدرس العظيم من قصة يوسف عليه السلام: لا تفتح الباب للفتنة!

يخبرنا الله في كتابه العزيز:

{ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ } (يوسف: ٢٣).

امرأة العزيز فتحت الباب للفتنة، فراودت يوسف عليه السلام، أما يوسف، فكان موقفه مختلفًا تمامًا؛ أغلق الباب في وجهها، فلم ينجذب، ولم يسقط.

وهنا يظهر لنا درس عظيم: المشكلة ليست في كثرة الفتن، بل فيمن يختار أن يفتح الأبواب ومن يختار أن يُغلقها.

الفتنة ليست مجرد كلام، بل فتح أبواب!

المسلسلات والأفلام اليوم تُرسّخ مفاهيم مغلوطة عن الحياة، تضع العلاقات المحرمة في قلب المشاهد، وتُزين الخيانة والزنا والجنس والإيحاءات الفاضحة، ثم يتساءلون: لماذا المجتمع فاسد؟

هم أنفسهم الذين يفسدونه بهذه الأفكار، ثم يلقون اللوم على غيرهم!

يقولون لنا: أنتم لا تتحدثون إلا عن النساء!

ونحن نقول لهم: أنتم من صنع هذه الفتنة بأيديكم، ثم تتهمون غيركم!

لكن الحق واضح: من أغلق الباب، نجا. ومن فتحه، وقع في الفتنة.

كيف نجا يوسف عليه السلام من الفتنة؟

يوسف عليه السلام لم يكن مجرد شاب صادق العفة فحسب، بل اتبع خمس خطوات أنقذته من هذا الابتلاء العظيم، وهذه الخطوات هي مفتاح النجاة لكل من يريد أن يحفظ نفسه:

١- اللجوء إلى الله والاستعانة به

أول ما فعله يوسف حين تعرض للفتنة هو أنه قال: { مَعَاذَ ٱللَّهِ }، أي أنه استجار بالله، استعاذ به، ولجأ إليه ليحميه من السقوط.

وهنا نتعلم أن البداية الصحيحة لأي إنسان يريد النجاة من الفتن هي أن يلجأ إلى الله أولًا، فبدون التوفيق الإلهي، لا يمكن للإنسان أن ينجو.

٢- تذكر حقوق المخلوقين

لم ينظر يوسف إلى هذه الفتنة فقط من زاوية الحلال والحرام، بل تذكر حقوق الناس، فقال: { إِنَّهُ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ } .

أي أن سيده العزيز أكرمه وربّاه، فكيف يخونه في عرضه؟!

وهنا درس آخر:

كل معصية فيها تعدٍ على حق أحد، فالشاب الذي ينظر إلى الحرام يعتدي على عرض أخيه، ومن يخون، يخون أمانة، ومن يظلم، يُضيّع حقوق الناس.

٣- تذكر عاقبة الذنب

قال يوسف عليه السلام: { إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ }، أي أن الذين يسيرون في طريق المعصية لن يصلوا إلى خير أبدا، بل إلى الندم والخسارة في الدنيا والآخرة.

الشيطان يُزيّن الحرام، ويُظهره كلذة مؤقتة، لكنه لا يُريك الجانب الآخر من القصة: الندم، الخوف، الفضيحة، العقوبة، والابتعاد عن الله.

٤- العمل الصالح السابق (سوابق الإحسان)

يقول الله عن يوسف:

{ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ } (يوسف: ٢٤).

وهذا هو السر العظيم: الإحسان السابق هو الذي أنقذ يوسف من هذه الفتنة!

لقد كان قريبًا من الله منذ صغره، فحفظه الله في هذا الموقف العصيب.

قال النبي ﷺ: "تعرّف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة."

فمن كان قريبًا من الله في أوقاته العادية، سيحفظه الله عندما تأتي الفتن.

٥- الفرار من المعصية والأخذ بالأسباب

لم يكتفِ يوسف بكل ما سبق، بل فرّ هاربًا من مكان الفتنة!

قال الله تعالى: { وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ } (يوسف: ٢٥) .

وهذا يعني أن الإنسان يجب أن يهرب من المعصية بأسرع ما يمكن، فلا يُجرب نفسه، ولا يُراوغ، بل يبتعد تمامًا عن بيئة الفتنة.

الدرس الأعظم: لا تفتح الباب، وستبقى نقيًا!

لا تفتح باب النظر الحرام.

لا تفتح باب متابعة المحتوى الفاسد.

لا تفتح باب العلاقات غير الشرعية.

لا تفتح باب الجلوس مع أصدقاء السوء.

القرار بيدك:

إن أغلقت الباب، لن تؤثر عليك الفتنة مهما كانت منتشرة.

وإن فتحته، فلن تنجو حتى لو كنت تعتقد أنك قوي.

يوسف عليه السلام واجه أقوى فتنة ممكنة، لكنه كان ذكيًا: أغلق الباب في وجهها، فنجا.

وهذا هو الحل الوحيد اليوم: لا تفتح الباب.

النجاة من الفتنة تبدأ بكلمة واحدة: { مَعَاذَ ٱللَّهِ }

يأتي البعض شاكيًا:

"يا شيخ، الفتن تحاصرني، البنات في كل مكان، المواقع الإباحية بضغطة زر، العادة السرية، العلاقات المحرمة، لا أستطيع التوقف!"

فيرد عليه الشيخ:

"أول خطوة: استعن بالله، ادعُ، صلِّ، واطلب من الله العون."

فيرد مستعجلًا:

"يا شيخ، وبعد ذلك؟ أعطني شيئًا عمليًا!"

هذا الشخص لن يخرج من المعصية، لأنه لم يبدأ من البداية الصحيحة: اللجوء إلى الله.

"والله المستعان" ليست مجرد عبارة، بل سلاح يغير العالم!

لماذا تريد القفز إلى الحلول قبل أن تقول: "يا رب، أعني"؟!

حتى امرأة العزيز، التي كانت مصدر الفتنة، اعترفت بسر قوة يوسف عليه السلام:

{ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ }(يوسف: ٣٢)

هي نفسها أدركت أنه استعصم بالله فلم تستطع التأثير عليه!

وعندما اجتمعت عليه نسوة المدينة، لم يبحث عن حلول بشرية، بل لجأ إلى الله مجددًا:

{ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ } (يوسف: ٣٣).

أي: "يا رب، إن لم تحمني، سأقع، فأنا بشر ضعيف، لكن بك وحدك أنجو!"

اللجوء إلى الله منهج حياة

إن كنت في جامعة تحيط بك الفتن، فقولي: "يا رب، اصرف عني كيدهم، فأنا ضعيفة بدونك."

إن كنتَ أمام شاشة وموقع إباحي أمامك، فقل: "يا رب، اصرف عني كيد هذه المواقع والشهوات."

اللجوء إلى الله ليس فكرة نظرية، بل هو أول وأهم خطوة في طريق النجاة.

مشكلتنا الأساسية أننا لا نحسن أن نستعصم!

نحن ماديون، نبحث عن الحلول الملموسة، لكننا ننسى أن القوة الحقيقية بيد الله.

نريد خطة عملية، لكننا نهمل أهم نقطة: "يا رب، أعني!"

درس النبي ﷺ للشاب الذي أراد الزنا

جاء شاب إلى النبي ﷺ وقال: "ائذن لي في الزنا!"

لم يكن الشاب جاحدًا، لكنه كان يرى أن الأمر خارج عن إرادته، كما تصوّر لنا الأفلام والمسلسلات أن الخطيئة حتمية:

الفتاة التي أصبحت راقصة لأنها "لم تجد خيارًا آخر"!

الشاب الذي انحرف لأن "المجتمع أجبره"!

البلطجي الذي أصبح كذلك لأنه "مظلوم"!

لكن النبي ﷺ رفض هذا التبرير تمامًا!

لم يمنحه استثناءً، بل قال له:

"أترضاه لأمك؟"

قال: "لا!"

"لأختك؟ لعمتك؟ لخالتك؟"

قال: "لا!"

فقال النبي ﷺ:

"وكذلك الناس، لا يرضونه لأمهاتهم، ولا لأخواتهم، ولا لعماتهم، ولا لخالاتهم."

لا تكن متناقضًا!

لماذا تحمي أختك من الذئاب، ثم تصبح أنت ذئبًا لبنات الناس؟!

لماذا تحرم العلاقات على قريباتك، ثم تبيحها لنفسك مع أخوات الآخرين؟!

الرجل الذي يمنع أخته من الحرام لكنه يلهو مع البنات ليس رجلًا!

ثم فعل النبي ﷺ شيئًا عظيمًا، وضع يده على صدر الشاب وقال:

"اللهم كفّر ذنبه، وحصّن فرجه، وطهّر قلبه."

فقال الصحابة: "فما عاد هذا الفتى يلتفت إلى شيء!"

دعوة واحدة فقط، غيرت حياته!

تمامًا كما فعل يوسف عليه السلام عندما قال: { مَعَاذَ ٱللَّهِ }

هل تستطيع حل مشكلتك بدعوة صادقة؟

قد تقول: " أنا أدعو، لكن لا أشعر أن الله يستجيب لي !"

الإجابة؟ اصبر، فالإجابة تأتي بأحد ثلاثة أسباب:

٢- وجود مانع من موانع الإجابة (مثل أكل الحرام).

٢- أن الله يريد أن يسمع دعاءك أكثر، فيجعلك تستمر بالدعاء ليقوي علاقتك به.

٣- لكي تشعر بقيمة النعمة عندما تُعطى لك.

لو استُجيبت لك من أول مرة، لما عرفت قيمتها!

لذلك: ادعُ، وكن صادقًا، ولا تستعجل.

الطريق الصعب يجعلك تتمسك بالنتيجة أكثر.

ربما يؤخر الله إجابة دعائك، لأنه يريد أن يمنحك شيئًا أعظم مما طلبت.

اللجوء إلى الله.. طريق النجاة من الفتن

حينما يجد الإنسان نفسه غارقًا في الذنوب، مستسلِمًا لشهواته، تراه يبحث عن حلول عملية للخلاص، متجاهلًا أول وأهم خطوة: اللجوء إلى الله.

يظن البعض أن الدعاء والاستعانة بالله مجرد كلمات، لكن الحقيقة أن { وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ } ليست مجرد عبارة، بل سلاحٌ يغيّر حياة الإنسان.

يوسف عليه السلام لم ينجُ من فتنة امرأة العزيز بقوته أو حكمته فقط، بل لأنه استعصم بالله. وعندما اشتدت عليه الفتنة أكثر، لم يعتمد على نفسه، بل قال: {وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ} (يوسف: ٣٣)، أي أنه أدرك أن النجاة بيد الله وحده.

لماذا نبحث عن الحلول قبل أن نقول "يا رب"؟

البعض عند وقوعه في المعصية يسأل: "ما الحل العملي؟"، لكنه لا يملك صدق الالتجاء إلى الله. فلو قالها بصدق، لفتح الله له أبواب النجاة. لا يكفي أن تقول "يا رب" بلسانك، بل يجب أن يكون قلبك حاضرًا، ممتلئًا بالإخلاص.

تأخير الإجابة.. حكمة ورحمة

قد يدعو الإنسان كثيرًا، لكنه لا يرى إجابة فورية، فيظن أن الله لا يستجيب له. لكنه لا يعلم أن الله يقوده إلى شيء أعظم. ربما تبدأ بالدعاء، فتكتشف أن مشكلتك أنك لا تصلي الفجر، فتبدأ في الصلاة. ثم تشعر أنك بحاجة إلى الصيام، فتبدأ في صيام النوافل. ثم تتصدق، ثم تحسن من حجابك أو عبادتك، وفجأة تجد نفسك إنسانًا آخر! عندها تفهم لماذا تأخرت الإجابة.. لأنها كانت تُهذّبك، وتعيدك إلى الله بأفضل حال.

دروس مستفادة من قصة يوسف عليه السلام:

١- الأبواب المغلقة لا تمنع الدعاء

حينما أُغلقت الأبواب على يوسف عليه السلام، لم تُغلق أبواب السماء، بل لجأ إلى الله فنجاه. فلا تيأس، مهما ضاقت بك الأمور.

٢- كن حاسمًا أمام الفتنة

حينما دعته امرأة العزيز، لم يتردد أو يتهاون، بل قال { مَعَاذَ ٱللَّهِۖ } فورًا. بعض الناس يترك الباب مواربًا للمعصية، يظن أنه قادر على التراجع متى شاء، لكنه لا يعلم أن التسويف طريق الهلاك.

٣- تذكَّر حقوق الخلق

يوسف عليه السلام رفض المعصية ليس فقط خوفًا من الله، بل وفاءً لمن أحسن إليه، فقال: { إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ }.

المعصية ليست شأنًا فرديًا، فهي اعتداء على حقوق الآخرين. الفتاة التي يعبث بها الشاب لها أب وأخ وأهل، فهل يرضى ذلك لأخته؟!

٤- المعصية تُفقِدك البركة والتوفيق

الذنوب ليست مجرد لحظات متعة، بل لها عواقب مدمرة.

كم من شخص شعر بندم قاتل بعد المعصية؟ كم من إنسان فقد لذة الطاعة بسبب ذنب صغير؟ المعصية تسرق منك الخشوع، تقسي قلبك، تجعلك تشعر بالضياع والتعاسة.

٥- الستر ليس دائمًا.. لا تأمن الفضيحة

امرأة العزيز لم تتوقع أن يُفضح أمرها، لكنه انكشف بعد لحظات.

والستر قد ينتهي في أي لحظة. قد يكون الله يسترك الآن، لكن هل تضمن أن يسترك غدًا؟ وإن لم تُفضح في الدنيا، فماذا عن يوم القيامة، حينما يُكشف المستور أمام الخلق جميعًا؟

الخلاصة:

لا تبحث عن الحلول العملية قبل أن تبدأ بالحل الحقيقي: اللجوء إلى الله بصدق. لا تستهن بالدعاء، فهو الذي أنقذ يوسف، وهو الذي غيّر حال الشاب الذي أراد الزنا عندما دعا له النبي ﷺ. لا تستهين بالمعصية، فهي تقودك إلى غيرها، وتسرق منك الخير شيئًا فشيئًا. وإن كنت في طريق المعصية، فاعلم أن العودة إلى الله ممكنة، لكنه ينتظر منك خطوة صادقة.

قل: "يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا".. وسترى كيف يفتح الله لك أبواب النجاة.

خُماسية النجاة من الفتنة في قصة يوسف عليه السلام

حين تبتلى النفس بمحنة الشهوات، فإن النجاة لا تكون إلا بالاستعانة بالله، والحسم، وإدراك عواقب الذنب، واليقين في عدل الله ورحمته. وتظهر لنا قصة يوسف عليه السلام نموذجًا متكاملًا في التعامل مع الفتنة، من خلال خمس مراحل متتابعة تُجسد طريق النجاة.

١- الالتجاء إلى الله: { مَعَاذَ ٱللَّهِ }

عندما واجه يوسف عليه السلام إغراء امرأة العزيز، لم يساوم أو يترك بابًا مواربًا، بل لجأ مباشرة إلى الله: { مَعَاذَ ٱللَّهِ } إن اللجوء إلى الله هو الحصن الأول ضد الفتن، فلا مجاهدة للنفس إلا بإعانة الله.

٢- التذكير بالإحسان وحقوق الآخرين: { إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ }.

يوسف لم ينسَ فضل سيده، فاستشعر الخيانة في أن يمد يده إلى ما حرّمه الله، إدراكًا لحقوق الناس. وهذا درس لكل من يفكر في معصية، أن يتذكر حق الله وحق الخلق عليه.

٣- استحضار العاقبة: { إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ }

الذنب ليس مجرد لذة عابرة، بل يتبعها ندم، وضيق في القلب، وفقدان للخشوع في العبادة، وانعدام التوفيق في الحياة.

المعاصي تسحب بعضها، فمن وقع في علاقة محرمة اليوم، قد يجد نفسه في الزنا غدًا، ومن أدمن النظر إلى الحرام قد يفقد القدرة على الاستمتاع بالحلال. فكيف يُفلح الظالم لنفسه ولغيره؟

٤- الإخلاص: { إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ }

الإخلاص هو مفتاح النجاة، فحين يرى الله صدق العبد في طلب العفاف، ييسر له سبيل الطهر، كما فعل مع يوسف.

٥-الفرار من مواضع الفتنة: { وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ }

لم يكتفِ يوسف عليه السلام بالرفض القلبي أو اللفظي، بل بادر بالهروب من مصدر الفتنة، لأن البقاء في مواضع الشبهات يؤدي إلى السقوط في الحرام.

الفرق بين "همّ" يوسف وهمّ امرأة العزيز

"همُّ" يوسف كان خاطرة طبيعية خطرت له، لكنه دفعها بالإيمان، فكان مأجورًا عليها، أما "همُّها" فكان مع العزم والتخطيط والإرادة، فكانت آثمة. وهذا يوضّح أن الخواطر العارضة لا يحاسب عليها الإنسان، لكن ما إن تتحول إلى عزم وإرادة، فإنه يُؤاخذ عليها.

برهان يوسف عليه السلام

رأى يوسف عليه السلام برهانًا من الله ثبّته على الطاعة، ولم يُذكر تحديدًا في القرآن أو السنة، لكنه كان كافيًا لصرفه عن الفتنة، وهكذا من صدق مع الله، أراه الله من آياته ما يعينه على الثبات.

أى أن

إن معركة العفاف ليست سهلة، لكنها طريق إلى السعادة الحقيقية، فكم من شخص استباح الحرام، فلم يزده إلا ضيقًا ونقصًا! وكم من عفيفٍ صبر، فرفع الله قدره وأعانه! فلنحذر أن نقارن حياتنا بما تعرضه الشاشات، فالوهم لن يغني عن الواقع، والسعادة الحقيقية في الطهر والرضا بقدر الله.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المخلصين، وأن يصرف عنّا الفتن ما ظهر منها وما بطن .